خطبة بعنوان: ((حسن الخلق))

✍ لأبي عبدالرحمن موفق الفاضلي العودي حفظه الله

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}[آل عمران:102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:1]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }[الأحزاب:70-71]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

أجارنا الله وإياكم من البدع والمحدثات ومن النار.

أيها الناس:" إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين "

فقد روى الترمذي رحمه الله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: "التَّقْوَى وَحُسْنُ الْخُلُقِ"، وَسُئِلَ: مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّارَ؟ قَالَ: "الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُ، وَالْفَرْجُ"

ففي هذا الحديث سببان في دخول النار وسببان في دخول الجنة فالسببان في دخول النار هما الفم والفرج والسببان في دخول الجنة هما التقوى وحسن الخلق .

وحديثنا اليوم عن سبب من أسباب دخول الجنة ألا وهو حسن الخلق .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرن بين تقوى الله وحسن الخلق لشرفهما فتقوى الله حق للخالق سبحانه وتعالى, وحسن الخلق حق للمخلوق ,والعبد الصالح هو الذي يقوم بحق الله وحق خلقه ولهذا كان من وصايا النبي صلى الله عليه وسلم لأ بي ذر ومعاذ رضي الله عنهما:" اتّقِ اللّه ِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتبِعِ

السّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تمْحُهَا، وَخَالِقِ النّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ. رواه الترمذي

فالأمر بحسن الخلق يقتضي وجوبه وكان من أسباب حب أبي ذر للنبي صلى الله عليه وسلم واعتناقه الاسلام هو دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكارم الأخلاق, فإن أول ما دعى إليه هو توحيد الله ومكارم الأخلاق.

ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي ذر رضي الله عنه لَمّا بَلَغَهُ مَبْعَثُ النّبِيّ صَلّى اللّه ُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الوَادِي فَاعلم علم هذا الرجل ـ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ـ الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء فاسمع من قوله ثم ائتني, فانطلق الآخر حتى قدم مكة وسمع من قوله ثم رجع إلى أبي ذر فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاما ما هو بـ الشعر ... الحديث

وأعظم من اتصف بحسن الخلق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان أحسن الناس خلقا فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،رضي الله عنهما, قَالَ: كانَ رَسُولُ اللّه ِ صَلّى اللّه ُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَحْسَنَ النّاسِ خُلُقًا، وَكانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عُمَيْرٍ، قَالَ: أَحْسِبُهُ، قَالَ: كانَ فَطِيمًا، قَالَ: فَكانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللّه ِ صَلّى اللّه ُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَرَآهُ، قَالَ: «أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ» قَالَ: فَكانَ يَلْعَبُ بِهِ.

والنغير هو طائر صغير كان يلعب به ذلك الطفل الصغير فانظر

إلى خلق النبي صلى الله عليه وسلم مع الأطفال الصغار,ومع الشيبان الكبار.

ولهذا أقسم الله في كتابه أن نبيه صلى الله عليه وسلم صاحب الأخلاق العظيمة والصفات الكريمة فقال سبحانه: { ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[القلم:1-4]

والنبي صلى الله عليه وسلم قدوتنا وأسوتنا فيجب علينا أن نقتدي به وقد دعانا إلى حسن الخلق وبُعث ليتمم مكارم الأخلاق.

فقد روى الإمام أحمد رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". أي الأخلاق الكريمة من الجود والشجاعة و النجدة والكرم والصدق والأمانة ونحو ذلك وكان يتصف بها قبل بعثته وبعدها.

وما كان صلى الله عليه وسلم غليظا ولا فظا ولا فاحشا فقد روى البخاري رحمه الله عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا»

وبين أن أقرب الناس إليه يوم القيامة و أحبهم إليه من اتصف بحسن الخلق ,وأنه سيكون جليسه يوم القيامة فقد روى الترمذي رحمه الله عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلا َقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه ِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: "المُتَكَبِّرُونَ".

وفي رواية عند أحمد عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ِ صَلَّى اللَّه ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَسَاوِئَكُمْ أَخْلَاقًا، الثَّرْثَارُونَ، الْمُتَفَيْهِقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ "

والثرثارون هم كما قال المناوي رحمه الله: الذين يكثرون الكلام تكلفا وتشدقا والثرثرة كثرة الكلام. والمتشدقون أي المتكلمون بكل أشداقهم ويلوون ألسنتهم وهم المتكلفون بالكلام أو هم المستهزؤن بالناس والمتفيهقون أي المتوسعون بالكلام الفاتحون أفواههم للتفصح. اهـ ملخصا

وكل هذه الصفات تنافي حسن الخلق.

فانظر يا عبد الله كيف يحب النبي صلى الله عليه وسلم المتواضعين والمتخلقين بالأخلاق الحسنة ويقربهم منه يوم القيامة ,بينما المتكبرون والسيئون يبغضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبعدهم منه يوم القيامة, وهو صاحب الشفاعة العظمى وصاحب لواء الحمد وأول من يفتح باب الجنة ويأتيه الخلق كلهم ليشفع لهم في ذلك الموقف العصيب فأصحاب الأخ

لاق الطيبة هم أقرب الناس إليه صلى الله عليه وسلم.

فتحلَ بالأخلاق الحسنة والفعال الحميدة وادعُ الله أن يرزقك مكارم الأخلاق فإن نبينا صلى الله عليه وسلم هو صاحب الأخ لاق الكريمة والخصال الحميدة ومع هذا كان من دعائه في صلا ته: «وَجّهْتُ وَجْهِيَ لِلّذِي فَطَرَ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللّهُمّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَا أَنْتَ أَنْتَ رَبّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنّهُ لَا يَغْفِرُ الذّنُوبَ إِلَا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنّي سَيّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنّي سَيّئَهَا إِلَا أَنْتَ، لَبّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشّرّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» رواه مسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

الشاهد من الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو ربه أن يهديه أحسن الأخلاق ويصرف عنه سيئها وقد علمتم أنه أحسن الناس خلقا ولكنه يعلم أمته بهذا الدعاء العظيم.

وأما فضائل حسن الخلق فإن له فضائلَ عظيمة ودرجاتٍ رفيعة فقد ثبت عند الترمذي من حديث أبي الدّرْدَاءِ رضي الله عنه، أنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ: "مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنّ اللّهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ".

قال المناوي رحمه الله: "لأن حسن الخلق لا يحمِّل غيره أثقاله, وهويتحمل أثقال غيره وخلقهم, فهو في الميزان أثقل لما تقرر من أن جهاد النفس على تحمل ثقلها وثقل غيرها أمر مهول لا يثبت له إلا الفحول". اهـ

فحسن الخلق يحتاج صاحبه إلى مجاهدة حتى يحقق هذه الصفة الحميدة لأنه سيلاقي أذى فيحتاج إلى صبر وتحمل وكظم الغيض, ولهذا فإن الخلق الحسن يرفع صاحبه درجات يوم القيامة كما روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم - يقول: "إنّ المُؤْمِنَ ليُدرِكُ بِحُسنِ خُلُقِهِ درجةَ الصائِمِ القائِمِ" وعند الحاكم:" قائم الليل وصائم النهار".

وروى الإمام أحمد رحمه الله عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّه ُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ لَهَا: " إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة وصلة الرحم وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ "

وصاحب الخلق الحسن يحبه الله سبحانه وتعالى لما روى الطبراني رحمه الله عن أسامة بن شريك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه أناس فقالوا من أحب عباد الله إلى الله تعالى: قال: "أحسنهم خلقا". وفي رواية لابن حبان قال يا رسول الله فما خير ما أعطي الإنسان؟ قال:" خلق

حسن"

وما ذاك إلا لأنه تحبب إلى الناس بحسن خلقه فأحبه الله.

وحسن الخلق من أفضل الأعمال فقد روى البخاري في التاريخ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما عمل ابن آدم شيئا أفضل من الصلاة وصلاح ذات البين وخلق حسن"

فالمؤمن يحرص على تحسين خلقه وإصلاح نفسه فيما بينه وبين ربه وما بينه وبين الناس يكتمل إيمانه ويرفع الله درجته في الدنيا والآخرة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد تقدم أن عرفنا فضل حسن الخلق ومشروعية الأمر به وما يترتب عليه من الأجر والثواب والآن نعلم ما هو حسن الخلق وما معناه ونذكر بعض مكارم الأخلاق.

فقد روى الإمام مسلم رحمه الله عَنِ النَّوّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»

قال النووي رحمه الله: قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْبِرُّ: يَكُونُ بِمَعْنَى الصِّلَةِ وَبِمَعْنَى اللُّطْفِ وَالْمَبَرَّةِ وَحُسْنِ الصُّحْبَةِ وَالْعِشْرَةِ وَبِمَعْنَى الطَّاعَةِ وهذه الامور هي مجامع حسن الْخُلُقِ. اهـ

والبر:هو اسم جامع لكل خير ويدخل في ذلك حسن الخلق بل هو أشمل وأجمع.

وفسر ابن المبارك رحمه الله حسن الخلق بقوله: هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى.اهـ كما عند الترمذي.

وقال المناوي رحمه الله: حسن الخلق هو اختيار الفضائل وترك الرذائل وذلك لأن حسن الخلق يحمل على التنزه عن الذنوب و العيوب, والتحلي بمكارم الأخلاق من الصدق في المقال و التلطف في الأحوال والأفعال وحسن المعاملة مع الرحمن و العشرة مع الإخوان وطلاقة الوجه وصلة الرحم والسخاء و الشجاعة وغير ذلك. اه.

- ومن حسن الخلق الكرم والجود والعفو والصفح والبشاشة ولين الجانب والتواضع ورد السلام وطيب الكلام.

جاء عند البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إنكم لن تسَعُوا الناس بأموالكم ولكن يسَعُهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق"

قال المناوي رحمه الله: أي لا تسع أموالكم لعطائهم فوسِّعُوا أخلاقكم لصحبتهم. اه.

- ومن حسن الخلق التبسم في وجه المسلم لما روى الترمذي عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ"

قال المناوي رحمه الله: يعني إظهارك له البشاشة والبشر إذا لقيته تؤجر عليه كما تؤجر على الصدقة قال بعض العارفين : التبسم والبشر من آثار أنوار القلب * (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة) *

قال ابن عيينة : والبشاشة مصيدة المودة والبر شيء هين: وجه طليق وكلام لين. اهـ

ـ ومن حسن الخلق طيب الكلام وإفشاء السلام فقدروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ".

قال ابن بطال رحمه الله: الكلام الطيب مندوب إليه وهو من جليل أفعال البر؛ لأن النبى عليه السلام جعله كالصدقة بالمال، ووجه تشبيهه الكلمة الطيبة بالصدقة بالمال هو أن الصدقة بـ المال تحيا بها نفس المتصدق عليه ويفرح بها، والكلمة الطيبة يفرح بها المؤمن ويحسن موقعها من قلبه فاشتبها من هذه الجهة، ألا ترى أنها تذهب الشحناء وتجلى السخيمة كما قال تعالى: (ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) والدفع بالتى هى أحسن قد يكون بالقول كما يكون بالفعل. اهـ

فطيب الكلام وإفشاء السلام والمودة والوئام وإطعام الطعام من مكارم الأخلاق ومن أسباب دخول الجنة.

فقد روى مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رضي اللّٰه عنه ـ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ -صلى اللّٰه عليه وسلم- « لا َ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلا َ تُؤْمِنُوا حَتَّى تحَابُّوا,أَوَلا َ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَىْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلا َمَ بَيْنَكُمْ ».

وعن أبي شريح رضي اللّٰه عنه أنه قال يا رسول اللّٰه أخبرني

بشيء يوجب لي الجنة قال:" طيب الكلام وبذل السلام وإطعام الطعام" رواه الطبراني وابن حبان.

فإن لم تستطع أن تحسن إلى غيرك فكف أذاك عن الناس فإن حسن الخلق هو بذل الندى أوكف الأذى

قال النبي صلى الله عليه وسلم:" تكف شرك عن الناس فإنها منك على نفسك ". رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه.

فإن أفضل المسلمين إيمانا من سلم المسلمون من لسانه ويده لما روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ»

اللّهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عنا سيئ الأخلاق لا يصرف عنا سيئها إلا انت .

اللّهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللّهم ارزقنا مكارم الأخلاق وطيب الكلام وحسن الفعال وطيب الخصال و الحمد لله رب العالمين.